## من تراب الطريق!

## (١٩٤) مرآة الحياة ! (*)

وعى الآدمى هو مرآته للحياة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها. هذا الوعى تختلف سعته وحجمه على قدر إدراكه لما هو عليه ومعه فى ماضيه وحاضره وتصوره واستشرافه لما سيحدث أو يتمنى أو يخشى حدوثه .. هذا الوعى لا حدّ لنموّه كما لا حدّ لضيقه أو ضموره .. يبدأ فى كل آدمى عن جهالة تامة لأنه يولد لوالدين أو محيطين محكوم كل منهما بنسبة وعيه، وينمو منذ الميلاد ومع أطوار العمر وما يصادف الآدمى فيها، ثم ينتهى بانتهاء حياته على قدر ما بلغه فى رحلتها من النمو والاتساع أو الضيق أو الضمور .

يستحيل ابتداءً وانتهاءً أن يكون وعى أى حىّ مطابقًا لواقع الحياة أو لتركيب الكون العظيم .. لأن علم الآدمى كل آدمى - طارىء غير تام الصحة ! .. وهذا العلم الذاتى ليس إلاّ علمًا نسبيًا راقبه صاحبه وجربه ونجح فيه، فصاغ نجاحه بلغته أو برموزه أو بهما معًا ليتبعه غيره من البشر .. وقد يتكرر نجاحه أو لا يتكرر .. فالنجاح فى حياة البشر مبناها المتبع الغالب لا يُستثنى من ذلك إلاّ الحتمى اللازم الدائم .

يحدث ذلك برغم أن كل آدمى غارق مستغرق فى نفسه وذاته ثم أهله، اللهم إلاّ باستثناء قلة نادرة .. ووعى هذه الكثرة مشغول بما عند كل منها من حاله وصحته ومرضه وصغره وشبابه ورجولته وكهولته وشيخوخته ..حفىٌّ بيومه وغده ومأكله ومشربه ويقظته ونومه ومقره وسكنه .. معنىٌّ

---

(*) المال ٢٠٠٩/١/١٥

بما له وماعليه بالعمل والبطالة وبالمجهود والراحة، وملتفت إلى الإنجاب والفقد والوفاق والخصام وإلى الهيئة التى يتخذها عن اعتقاد بأنها تقدم وتمكن له فى عيون الناس ! .. وتسهل له الانتقال والاتصال .. وإلى ما يمكنه اغترافه من المتعة والتزين والرياضة واللهو واللعب، وإلى الانشغال بما لديه أو يطمع فى تحقيقه من القوة والنفوذ والثراء، وما يصنيه من الأمل أو اليأس، ومن السرور والبهجة أو الحزن والغم والخوف!

ومن العسير على جمهور الناس وإن طالت أعماره واتسعت مسالك تبصره وتعمقه - من العسير أن يخلص الحىّ حياته من غمار هذا الإغراق أو الاستغراق الدائم التدفق والاتساع الذى لم يفلت منه أحد إلاّ نادر النادر !!

لقد تفاقمت فى أيامنا متاعب البشر بتزايد أعدادهم التى فاقت تصور كل من سبقونا، وتفاقمت معها الاختناقات والآلام نتيجة اختلال التوازن الأولى بين المواليد والوفيات، وتفجرت صراعات وصلت إلى حد القوت والغذاء، واتسعت الأخطار والأوضار إلى حد تعريض البشرية للخطر والهلاك !.. ولم تعد للآدمى وسط هذا الأتون إلاّ بوصلة وعيه الذى قد تضلله سيئات العادات والأفكار والاعتقادات ! هذا الوعى هو صفحة رؤية الآدمى لطريقه، عليه أن يستخلصه ويقطره وينميه ليمتعه ببصيرة نافذة وقدرة خالصة على تعمق الأشياء والاهتداء إلى الحق والصواب !